المجلد 4 / العـدد: 16 (2023)، Volume 4, Issue 16
ص 81 – 100

مجلة التطوير العلمي للدراسات والبحوث
Journal of Scientific Development for Studies and Research (JSD)
P- ISSN 2709-1635 E-ISSN 2958-7328

الإشكال المعرفي في تأصيل المنهج وتلقي المصطلح في النقد العربي المعاصر

[1] الأستاذ الدكتور زكري بحوص *
[1]جامعة محمد بوضياف بالمسيلة (الجزائر)

The epistemological problem in rooting the curriculum and receiving the term in contemporary Arab criticism

[1] bahous ZEKRI
https://orcid.org/0009-0000-6074-857X
University of Mohamed Boudiaf M'sila (Algeria), bahous.zekri@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2023/07/06 تاريخ القبول: 2023 /08/26 تاريخ النشر: 2023 /12/01

ملخص:

من بين الاشكالات الرئيسة التي يواجهها النقد العربي المعاصر عجزه عن تأسيس منهج واضح المعالم يضبط صيغه المفاهيمية ولغته الاصطلاحية. ويزداد هذا العجز بتزايد الاتصال بالمنجز النقدي الغربي وانفجار المعرفة في الغرب، الى درجة لم يعد معها الناقد أو الباحث قادراً على الإحاطة بكل ما يجدّ من أفكار وأطروحات نقدية، خصوصاً أن هذه الاطروحات النقدية تقوم على الدوام بتوليد لغتها العلمية الجديدة ولا تتوقف عن صك المصطلحات والتعبيرات المفاهيمية الجديدة التي تشرح رؤيتها المحايثة للإبداع والنقد الأدبيين، واستوت تلك المعرفة النقدية عند الغربيين في مناهج لها منطلقاتها الاستراتيجية التي تطور نفسها على الدوام بإنجاز فتوحات فعلية على مستوى النص الإبداعي، وقد حاول النقد العربي أن ينقل نتائج تلك المعرفة إلى الثقافة العربية، وأفضى ذلك النقل إلى انقسام الدارسين بين متجاهل للتراث منبهر بالغرب وبين منتصر له يحاول أن يلغي أو يتجاهل الغرب أو يحاول أن يقارب التراث بالنتائج الحديثة، وقد عمقت الترجمات الفردية للنصوص والمصطلحات النقدية الانقسام بين الباحثين فتحولت الساحة النقدية العربية إلى فوضى شوشت ذهن كل قارئ حاول سبر مضمون الدراسات التي انجزت في إطارها. انطلاقا من هذا التصور تحاول هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على أهم اشكالات تأصيل المنهج وتلقي المصطلح في النقد العربي المعاصر.

كلمات مفتاحية: الإشكال المعرفي، المنهج، المصطلح، النقد العربي المعاصر.

Abstract:

Abstract One of the main problems of contemporary Arabic criticism is its inability to control its conceptual form and its idiomatic language. This has led to an increase in the level separated by Arab literary criticism produced by the growing contact with international critical achievements and the explosion of critical knowledge in the world, insofar as literary scholar is no longer able to all critical ideas and theses, especially since

* زكري بحوص، bahous.zekri@univ-msila.dz

these theses are critical. He generates his new idiomatic language and formulates conceptual terms and expressions that explain his vision of literary criticism, its function in the world and its relationship to literary texts. This article attempts to analyze the most important problems of the rooting of the critical approach and the reception of the term in contemporary Arab criticism.
Keywords: The epistemological problem; curriculum; term; Contemporary Arab Criticism

1. تقديم:

لا شك أن انتقال النظريات النقدية الغربية الحديثة إلى الثقافات المختلفة كانت انطلاقا من المحاولات العديدة التي كرست للانفتاح عليها من خلال الترجمة والتأليف، ولا يخرج النقد العربي الحديث والمعاصر من هذا الإطار الثقافي، لهذا فقد صاحب النقد العربي النقد الغربي منذ البداية، إن على مستوى النصوص الكبرى التي شكلت المناهج أو المصطلح التي وجهت استراتيجية النظر في الابداع، وقد انطوى ذلك على إشكاليات عديدة منوطة بالاستيعاب والتمثل المناسب للعملية النقدية. فبين فعالية وكفاية الآلية النقدية الاجرائية التي راهن عليها بعض المنتصرين من النقاد العرب للمناهج الغربية وعدم الانغلاق على ما في جعبة النقد العربي من موروث دون الطموح إلى تجديده وتطويره، وبين طرح ركن إليه في المقابل البعض الآخر من النقاد تحتج فيه بخصوصية النص العربي في مستواه اللغوي والثقافي ، بين الرؤية الأولى والثانية يتأرج الناقد العربي المعاصر وسط إشكالية تأصيل المنهج من جهة وتلقي المصطلح في النقد العربي المعاصر من جهة أخرى؛ إذ اتجه إلى توظيف المصطلح النقدي بغية توفير الشروط العلمية التي تمنح التفكير الأدبي العربي مصداقيته الوظيفية وتمكين الباحث من اعتماد الطرح النقدي الاصطلاحي من زاوية كون هذا الحقل المعرفي الجديد كفيل بأن يحيل على الإجراء الوظيفي والتطبيقي في حيز الثقافة النقدية المغايرة للمعيارية البلاغية التراثية. وبالانطلاق من الحيثيات السابقة انطوت مشكلة هذه الورقة البحثية على محاولة تقصي جوانب إشكالية المنهج والمصطلح في سياق التلقي العربي، تأسيسا وتأصيلاً وترجمة وممارسة باعتبارها أهم إشكالية طرحت في الخطاب النقدي العربي المعاصر. وعليه فقد كان الهدف الرئيس للبحث هو السعي الى فحص ما انتهى اليه المنجز النقدي العربي في قضية المنهج والمصطلح. ليخلص البحث الى أن الناقد العربي حاول تأصيل المناهج الغربية وتطويع المصطلحات الوافدة بغية الاقتراب من عالم النص، ليجد نفسه أمام إشكاليات ولدتها حاضنة أوربية غريبة عن البيئة العربية، الشيء الدي أفرز خطابا نقديا متأزما يسعى الى محاولة تجاوز حالة الاضطراب.

2. اشكالية تأصيل المنهج النقدي في النقد العربي المعاصر:

عرف المشهد النقدي العربي المعاصر، تحولات في الرؤية والمنهج، تبعا للتحولات التي عرفها العالم العربي سياسيا واجتماعيا وثقافيا، ولم تكن تطورات النقد العربي إلا واحدة من التجليات التي جسدت هذه التحولات. وقد تمثلت التحولات التي عرفها مسار هذا النقد في التراكم الذي كان يمتح من الإشكالات النظرية والإبستمولوجية التي عرفها الغرب في العصر الحديث، وفي أسئلته التي تحاول أن تزاوج بين الاشتغال التنظيري والمقاربات التحليلية، أملا في تخصيب الأفق النقدي وتحديث أدواته الإجرائية.

1.2. استقبال المنهج في النقد العربي المعاصر:

في إطار الانفتاح على الآخر المتطور في موضوع المناهج النقدية، تباينت ردود فعل النقاد العرب موازاة مع الموروث العربي ومناهج النظر القديمة، وأفرزت الساحة مقاربات غالبا ما تكون محصلة عملياتها مرهونة بالمقدار الذي يبلغه الانبهار بالمناهج الغيرية من حيث استيعاب المنهج للظواهر الإبداعية، وكذلك من حيث الترسانة المصطلحية المعتمدة في التحليل.

ويشير المنهج من الناحية الدلالية والمفهومية إلى الكيفية التي يجب علينا اتباعها في التحليل، أي، إلى الخطوات المحددة سلفا في الدرس والبحث، من ثم فالمنهج مسار إجرائي يسلكه الباحث بعد بناء تصور معرفي جيد لموضوع التحليل؛ ولهذا يدل المنهج على مجموعة من الطرق العملية القصد منها بلوغ نتيجة مستهدفة في أي مجال من مجالات الفعل، والتفكير، والتأمل، والبحث عن الحقيقة (سويرتي، 2015). وتتنوع المناهج باختلاف موضوعاتها، كما يمكن أن تختلف حتى في إطار الموضوع الواحد ضمن التخصص العلمي الواحد.

وأمام هذا التنوع والاختلاف اشتق الباحثون من الكلمة اللاتينية الدالة على المنهج" Méthode" ما عرف بمصطلح "علم المنهجية La méthodologie" باعتبارها علما يدرس المناهج في التخصصات المختلفة ويرصد المبادئ المشتركة بين منهجيات العلوم، كما يراعي طبيعة التخصص في التفاصيل. ولا شك أن للمناهج أبعاد ومرامي منها ما يبرز مباشرة من نتائج بعد ممارستها على ظاهرة معينة، ومنها ما يتعلق بتقويم المنهج ذاته حيث ينظر في إمكانية الاحتفاظ بالمنهج المستعمل نظرا لكفايته الإجرائية، أو من حيث تطويره أو استبداله بمناهج أخرى كفايتها الإجرائية أعلى وأجود منه. (سويرتي، 2015).

ويحدد المنهج في الأدب والنقد، طريقة معينة ومحددة لقراءة النصوص، فهو الأداة التي تمكن الناقد من طرق الأبواب المتعددة النص، وهو أساس نجاعة كل دراسة أدبية (صدقة، 2006). لكن الفضل يعود للنص الأدبي

والظاهرة الجمالية في بروز المنهج النقدي، وللمنهج النقدي بعد ذلك الفضل في الكشف عن خفايا هذا النص التي تزخر بالمعاني وجمال اللغة والفكر.

فالمنهج النقدي إذاً طريقة خاصة للقراءة لها خطواتها الإجرائية وأسسها العامة المتفق عليها تغذيها توجهات نظرية ومفهومية خاصة تتعدد بتعدد النقاد حتى داخل المنظومة الثقافية والإيديولوجية والاجتماعية الواحدة، ولكل منهج منها وسائله وأهدافه يحقق بها منظوراته، وعلى الناقد اختيار ما يعتقد أنه يحقق غاية بعينها تعود بالفائدة على الأدب والنقد، ولا يتم ذلك إلا إذا حذق الناقد حرفة النقد، وامتلك أدواتها، وثمّن تعددية الرؤية فيها، وآمن أن التأويل ليس وحيا، وإنما اجتهاد وعناء، وأن النص الأدبي لا يبوح لأحد مهما كان ذكاؤه بأسراره كلها دفعة، وأن ذلك سر من أسرار بقائه حيا نضرا، بينما تتحول معظم الدراسات التي تتناوله مع مرور الزمن إلى أطلال كلام (بن زايد).

فالنص الأدبي الناجح يراوغ عبر لعبة الخفاء والتجلي في متاح أسراره، ولا يتحقق له الإشعاع إلا من خلال منهج نقدي له القدرة على اكتشاف الجديد فيه، فأسراره مادة خام تشبه البركان الهامد، تنشط حممها فقط عبر آليات منهجية فعالة. لذلك، فعلاقة النص الأدبي بالمنهج النقدي، تحكمها الدينامية والتغيير، وبالقدر الذي يستثير فيه المنهج النقدي النص الأدبي للتطور المستمر، يستفز النص الأدبي المنهج النقدي على تحديث آلياته واستبدالها بأخرى. فلم يبق دور المنهج النقدي منحصرا في تقدم الكتابات الإبداعية والنقدية، بل تجاوزه إلى دوره في تطور العلوم الانسانية، وتحضر المجتمع الذي ينتجها، وما تطور المناهج وتغير أسمائها عبر التاريخ إلا دليل على استحالة ثبات منهج معين في النقد الأدبي أو في غيره لمدة طويلة، فهو إن استقر في إطاره العام تدركه تغيرات في التفاصيل استجابة لتلونات الإبداع الأدبي. (سويرتي، 2015).

نتيجة لهذا، شغلت مسألة المنهج النقدي المتهمين في بقاع العالم الشرقي والغربي، وقد أولت البحوث العربية عنايتها بهذه القضية، حيث تم تناولتها بالدراسة في عدد كبير من الندوات الأدبية، واللقاءات الثقافية، أدلى كل باحث من الباحثين المشاركين خلالها برأيه فيها، وساهم كل منهم بوجهة نظره في المفهوم بأبعاده ومراميه وقضاياه من زاوية اهتماماته. (سويرتي، 2015).

وقد أسهم مثل هذا الاهتمام، في حث النقد العربي المعاصر، على الحركة والنشاط، خاصة في ظل ما يعانيه من أزمات؛ أزمة في التأسيس لكسب شرعية وجوده، وأزمة في المنهج الذي يترجم هذه الشرعية، وثالثة في المصطلح، باعتباره المفتاح الرئيس لبوابة التخصص، ذلك أن الخطاب النقدي العربي، ومنذ أن آثر ارتداء لبوس الحداثة التي وفدت إليه من الغرب، أصابه العديد من العلل، كالغموض، والألغاز إضافة إلى فوضى التفسير، قرر السير في طريقه الجديدة ففقد هويته. (بارة، 2005).

2.2. إشكالية تطبيق المنهج في النقد العربي المعاصر:

تعود بدايات المثاقفة النقدية التي شهدها الخطاب النقدي الأدبي العربي المعاصر مع الغرب، إلى العلاقة بين المناهج النقدية الغربية والنقد العربي في الفترات التي عرفت حركة الترجمة من أجل التعريف بالثقافة الأجنبية، حيث اتجه النقد في هذه الفترة من تاريخه نحو البحث عن مناهج جديدة دفعته إلى إيجاد منطلقات فكرية حداثية توجه خطاباته، وبذلك أسست المدارس والجمعيات الأولى على غرار "الديوان" و"أبولو" و"القلم" قواعد النقد الحديث اعتمادا على مقولات النقد الغربي (سعدون). وبالتالي، فقد تمرد النقد العربي الحديث على ما كان قد وفره التراث النقدي العربي من نظريات بلاغية، ورأى أن تحقيق التقدم المنهجي الفاعل، يتجسد عبر اندماجه في سياق فعالية النقد الغربي وآلية إنتاجه لمنظومة البنى والمفاهيم والتصورات التي لم يعد بإمكان النقد العربي اللحاق بتطوراتها المنهجية والمعرفية الهائلة المتحققة لدى الغرب. (هويدي).

على هذا الأساس، آثر النقد العربي التبسيط المعرفي، وانتقل بمهمة النشاط النقدي الخلاق من مسار وظيفته الكبرى المتمثلة في ذلك النشاط المتصل بإنجاز وعي علمي بالنصوص الإبداعية وتحقيق إنتاج معرفي بها، إلى وظيفة هامشية سلبية، تنحصر في المواكبة الآلية لحركة تطور المناهج النقدية الغربية، وظن أنه بالإمكان الإفادة من تلك المناهج كما يفيد منها أصحابها، أي أن نقل الانجاز المتطور من بيئته المصدر ينتج مواكبة أو إنجازا متطورا في البيئة الهدف (هويدي)، فلم يستطع هذا الفعل في مجال النقد الصمود أمام التعدد المنهجي الذي شهدته ساحة النقد الغربي؛ من شكلانية وبنيوية وأسلوبية حيث وقف النقاد العرب مشدودين ومنبهرين إلى هذا التطور في مرحلة أولى، وعملوا على الاستيعاب والمقاربة، ثم تلتها مرحلة الحيرة والشك والنقد والتجريح (طرشونة، 2008). فقد بهرت مناهج النقد الغربية كثيرا من النقاد العرب، فاعتنقوها وتشبثوا بها وهللوا لها في أبحاثهم، ولم يتبينوا نقائصها إلا بعد زمن طويل من الإعجاب والتبعية. (بالمحجوب).

إثر ذلك، أصبحت قضية المنهج وإشكالياته من القضايا الشائكة التي تحظى باهتمام كثير من الباحثين، على اختلاف مجالاتهم، وهو ما يفسر التراكم الهائل الحاصل في حجم الدراسات المنجزة حول هذا الموضوع، سواء في شكل أبحاث أو رسائل وأطروحات أكاديمية، غير أن هذا التراكم العددي لا يرافقه أحيانا وعي نظري نوعي بعمق الإشكاليات المطروحة في تشعباتها وأبعادها، وهو ما جعل هذا الموضوع على الرغم مما استغرقه من جهود مازال في أمس الحاجة للمزيد من الدراسة والتمحيص (بوطيب، 1994). وغدت هذه الإشكاليات تثير عديد القضايا، التي تستشرف الواحدة منها عددا من الحلول، حتى بلغ الأمر درجة كبيرة من الحدة والتباين كان معه كل حل مجرد اقتراح وهو بدوره قابل للنقاش والنقص بسبب تعدد المنطلقات والغايات، فالجميع مهموم باقتراح تصور للمنهج الذي يكون بديلا للحيرة المعرفية والأزمة الفكرية المزمنة (طرشونة، المرجع السابق، 2008). وبالتالي،

شكل هذا الهم مشتركا تدارسته مختلف أقطار الوطن العربي، فتعصب كل لمنطلقه وغايته، حيث تباينت تصورات النقاد الباحثين في الوصول إلى المنهج المنقذ من دوامة التيه في الإشكاليات، والأزمة لم تكن في التعدد والتباين، إنما في انتصار وتعصب الناقد المستميت لمقترحه دون وعي بضرورة تقديم فكرة سديدة للخروج من المأزق كأولوية تستحق الحوار الفعال.

كان على الناقد العربي أن يتجاوز حالة اليأس من إمكانية الارتقاء بالنقد العربي لبلوغ ما حققه النقد الغربي، وتجاوز كل ما ينطوي عليه هذا الإحساس من إيمان بالعجز والقصور والدونية، التي يمكن أن تفضي به إلى التسليم الكامل بما لدى الآخر من منجزات، والانقياد والتبعية له، تبعية من لا يكلف نفسه عناء ممارسة المراجعة والتساؤل والنقد (هويدي، المرجع السابق). فكلما أحسن الناقد العربي بفقر ثقافته وتجمدها، أغلق باب الاجتهاد، وارتفعت لديه قابلية التلقي اللاواعي لثقافة الغير، فتعلق بأذيالها، ورأى فيها متنفسه الذي يغني ثقافته بروافد جديدة (طرشونة ص.)، ومثل هذا الافتقار إلى الثقة ينطوي على الاستبعاد التام لأية إمكانية بناء إنجاز مستقل أو إقامة علاقة حوار مسؤول مبني على الإحساس بالاستقلال بعيدا عن صور الاندماج في بينات معرفية خارجية. (هويدي، المرجع السابق).

أفرز التبني اللاوعي للمناهج النقدية الغربية، معطيات عن اتجاهات نقدية متعالية على واقع النص الأدبي العربي، متجاهلة لخصوصيته، ما يفسر حركة التقلب السريع في الذائقة النقدية عند النقاد العرب المعاصرين، كما أفرز عشوائية في ظهور هذه المناهج واختفائها (هويدي، المرجع نفسه). ولما كان من الطبيعي أن يصيب الملل جماعة القراء من المنهج نقدي الذي لا يتغير عبر الزمن؛ فإن طموحه إلى التغيير فيه على مستوى مكوناته وأسسه الكبرى، أو استبداله بمنهج أكثر ملاءمة طموح طبيعي كذلك (سويرتي، المرجع السابق)، لأن المنهج النقدي بطبيعته المنطقية وباعتباره مجموعة من الأدوات الإجرائية يجب أن يخضع باستمرار للفحص، ولتحسين مردوديته، وجعله مواكبا للتطورات الحاصلة في المجالات المعرفية الموظفة لخدمتها (بوطيب، المرجع السابق). لذلك وجب على الناقد العربي تحري الوعي، فالانفتاح على ما حققه الآخر الغربي من تطور في المناهج النقدية أمر طبيعي، لكن ليس من المشروع أن يسعى وراءها ويتتبع خطاها عن كثب، فيتراجع لتراجعها ويستمر لاستمرارها (طرشونة م.، المرجع السابق). ليس من المجدي أيضا أن يحاول تحميل النص العربي ما لا يحتمل من آليات أقل ما توصف به أنها غربية، وفي المقابل ليس من المنطق كذلك الانغلاق على ما في موروث النقد العربي من رؤى دون الطموح إلى التجديد والتطوير.

وتعتبر قضية أو إشكالية التطوير، من أهم القضايا التي أثارتها إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر، حيث ما يزال الوقوف عند تأصيل منهج نقدي عربي واضح المعالم حلم الكثير من النقاد العرب، وهو حلم يحكمه

تعدد المنطلقات وتباين الرؤى، لهذا لم تسمح الظروف المحيطة بحركة النقد حتى الآن بتأسيس رؤية نقدية موحدة وواضحة المعالم على الرغم من توفر مظلة الانتماء للثقافة الواحدة. (سعدون، المرجع السابق)

فرغم تواصل جهود النقاد العرب عبر عقود من الزمن لتأسيس منهج نقدي عربي من خلال الجهود الفردية والمؤسسية فإن المتمعن في المشهد النقدي يلاحظ دائما طغيان اتجاهين نقديين كبيرين على المشهد النقدي يصدران عن رؤيتين اثنتين مختلفتين: الأولى تراثية، تبحث عن تحقيق تطور نوعي في كل ما ورثته بما في ذلك الانتاج النقدي وكيفية التفاعل معه، والثانية حداثية، تبحث في كيفية تلقف الثقافة الغربية الحديثة الوافدة بما فيها الثقافة النقدية (سعدون ص.). فبين الرؤية الأولى والثانية، يتأرجح النقد العربي المعاصر وسط إشكالية تأصيل المنهج، في ظل غياب المسؤولية في تجاوز الانحياز الذاتي واللاموضوعي، إلى هذه الرؤية أو تلك، ورغم بروز أصوات نقدية تدعو إلى تحقيق تكامل متوازن بين الرؤيتين إلا أن هذه الإشكالية ظلت قائمة.

كما أثارت قضية المنهج إشكالية لا تقل خطورة عن إشكالية التأصيل، وهي إشكالية التطبيق، حيث انعكست كل آثار التلقي غير السليم للنقد العربي المعاصر للمناهج النقدية الغربية، على الممارسات التي عمد فيها أصحابها إلى تطبيق آليات هذه المناهج على الأجناس المختلفة للنصوص الابداعية العربية، دون وعي بالهوة الفاصلة منهجيا وفكريا ولغويا وحضاريا، الأمر الذي جعل هذه التطبيقات تنتهي إلى مآزق منهجية سببها عدم الانسجام بين التنظير والممارسة وقد حاول النقاد العرب ترويض النص لهذه المناهج عساهم يخلصون إلى نتائج شبيهة بتلك التي خلصت إليها الممارسات النقدية في النصوص الغربية، ولكن هيهات أن يكون ذلك.

نتيجة لذلك، بدل أن يستمتع النص الإبداعي العربي بنغمات الآلية النقدية وهي تدغدغ جماليته وتحاور معانيه أطبقت هذه الآلية على أنفاسه فأصبح غريبا، وسط مقولات نقدية لا تحمل من خصوصيته العربية إلا الاسم، نقد عربي معاصر همه الأول والأخير الانتصار للآلية الغربية التي يفتخر بتبعيته لها. وقد لاحظ المتتبعون لعديد الممارسات التطبيقية العربية المعاصرة، التعثر الذي يعانيه النقد، في سعيه إلى محاولة تطبيق المناهج النقدية الغربية، مما جعله غالبا ما يبقى في إطار التنظير ولا يقترب من النص إلا في نطاق محدود، وإذا فعل ذلك فهو بلا شك يزيد في إبراز مدى التنافر الذي يحول دون توظيف المنهج. (بوطيب، المرجع السابق).

أما السبب الكامن وراء هذا التعثر، فهو اعتقاد النقاد العرب "بأن هذه المناهج لا تعدو أن تكون أدوات إجرائية يتوسل بها لتحليل النصوص الإبداعية، متناسين المضامين الثقافية التي تحملها هذه المناهج، والتي تتلاءم والبيئة الحضارية الغربية التي أفرزتها. ليس هذا وحسب، بل أن بعض المقاربات النقدية تحولت إلى معمل تجريبي للمناهج النقدية، مع أن مأربها هو إضاءة للنص، فغدت النصوص الإبداعية حقلا تجريبيا لتقديم المناهج الحداثية، فتحول المنهج من مجرد وسيلة إلى غاية، يستدل بالنص على مدى كفايته الإجرائية" (بارة ع.، المرجع السابق،

2005). لا يمكن إذاً، بتر الآليات الإجرائية من أصولها الثقافية ولا اللغوية، لأن هذه الآلية تظل دوما متحيزة للأنساق الحضارية التي أسهمت في تشكيلها وتأصيلها، وإن حاول الناقد ذلك فلا يحصد إلا الفشل والتناقض، وتنحصر ممارسته النقدية – كما سبق- في التنظير ولا تتعداه إلى التطبيق، إلا في نطاق محدود، لأنها لا تنطلق من النص قصد استكناه دلالاته الجمالية، بل تسعى لإيجاد مبررات لأدوات المنهج المتوسل به، فساد الغموض وأصبح المنظور ضبابيا لا يمكن أن يؤدي إلى نتيجة محددة عدا الاضطراب الفاضح لدى هؤلاء النقاد في تحديد فهم واضح للمنهج وأدواته الإجرائية (بارة ع.، المرجع نفسه، 2005).

فإذا كانت المناهج النقدية الغربية انطلقت من النص في بحثها عن آليات مناسبة تستنطق دلالته، وتكشف عن جماليته، فكيف للمقاربة التطبيقية التي استعارت هذه الآلية أن تقلب الموازين وتسقطها بالقوة على النص العربي، ولم يتوقف هذا التفاعل السلبي عند إخضاع النص العربي لسلطة مرجعيات غريبة، بل تعداه إلى التبرير لنجاح هذه الآلية، والمفارقة العجيبة، هو أن الناقد المنتصر للآلية الغربية، في أحيان كثيرة يكون غير متحكم في هذه الأداة بصفة دقيقة، ومن ثمة كانت نتائجه غير صحيحة، كما أن المنهج النقدي قد يكون صالحا على المستوى النظري، لكن القيمة الحقيقية للمنهج تكمن في تقويمه من خلال تجريبه على النصوص، لأن النصوص هي وحدها -بما تحويه من خبايا – من يبرر صلاحيته، فالذي يعول عليه في المنهج هو الكفاية الإجرائية، لكن هذه الأخيرة تشكل حجر العثرة التي تقف أمام الناقد العربي باستمرار. (صدقة، المرجع السابق، 2006).

تأسيسا على ذلك، يمكن القول إنه ما دام الناقد العربي المعاصر يسعى إلى تبرير فعالية كفاية الآلية النقدية الغربية الإجرائية، على حساب النص العربي وخصوصيته الثقافية واللغوية، فلن ينجح في تكريس نقد عربي، على غرار إشكالية التأصيل أو إشكالية التطبيق. وبدل أن يبحث عن مخرج، فهو على النقيض من ذلك، يزيد في عمر هذه الإشكاليات التي تزيد في تشويه النص العربي، وتطمس جمالياته، حيث ارتأى بعض النقاد في محاولتهم لتطبيق هذه المناهج الغربية سلوك أحد سبيلين: فإما أن يحافظ على المنهج كما هو في أصله الغربي، وتبني مضامينه الفكرية والثقافية، بالتالي يؤدي هذا إلى غموض التطبيق واضطرابه، وطمس معالم النص وإساءة فهم مادته، وإما أن يجرد المنهج الغربي من مضامينه الفكرية بإحداث تغييرات، لكن هذا لا يعدو أن يكون وهما فسرعان ما تظهر عيوبه أثناء التحليل أو التطبيق. (بارة ع.، المرجع السابق، 2005).

وعلى هذا، فالاعتماد اللاواعي على المناهج النقدية الغربية التي نبتت في تربة مختلفة عن التربة التي نشأ فيها النص العربي، يبعد النص عن أصوله وتاريخه وتقاليده الحضارية، فالنقاد في هذا مطالبون بدلا من الافتتان بما تشيعه لتلك المناهج من بريق كاذب للجدة والتطور، بغربلة ما يصلهم منها، فيؤخذ فقط ما يفيد ثقافة النص ويزيدها قوة وأصالة. (بلمحجوب).

وعلى النقد إذاً، أن ينطلق من الهموم الحضارية المعاصرة التي تميز الخطاب الأدبي، حتى يخلص إلى تأسيس رؤية معبرة عن هذا الفهم الخاص للذات الحضارية ويغني طرفي المعادلة، وينتج قيما معرفية وإبداعية جديدة تحدد موقع إنجاز العرب مقارنة مع الآخر. (هويدي، المرجع السابق).

وفي العرف النقدي تستند القراءات النقدية الخلاقة للنصوص الإبداعية، على ركيزتين أساسيتين متكاملتين، هما المنهج والرؤية؛ على المنهج أن يكون مستخلصا من آفاق تلك الرؤية التي تعد خلاصة الفهم الشامل للفعالية الإبداعية (بارة ع.، المرجع السابق، 2005)، ولا يكون هذا إلا بضرورة فهم المنهج المتبنى في شموليته، بعيدا عن التصورات التجزيئية القاصرة (بوطيب، المرجع السابق)، التي لا تحترم الرؤية التي انبثق منها هذا المنهج، ويزيد في متاعب النص العربي اختلاف حمولاته الحضارية والثقافية عن الحمولات الحضارية والثقافية التي تشكل الرؤية الخاصة بالذات الغربية. فكان على الناقد العربي أن يتعامل مع المناهج الغربية في إطار ثقافة الاختلاف، أي، التعامل مع الآخر كمعرفة لها خصوصياتها الحضارية، المختلفة عن حضارة النص العربي، لا كذات تشع على غيرها بالمعرفة، فالانفتاح مشروط دائما على نتائج الآخر، وأخذ الحيطة من الارتماء في منجزاته، لا يعني مطلقا مقاطعته، وغلق باب الاستفادة من نتائجه التي تشترك مع الخصوصيات الثقافية العربية. (بارة ع.، المرجع السابق، 2005)

ونتيجة لهذا المشهد المؤسف للنقد العربي يمكن القول إن، " العقل النقدي العربي يقف اليوم على مساحة من الثراء المعرفي المتنوع الجمالي فيما قدمه الغرب من مناهج نقدية متنوعة واتجاهات خصبة، يمكن لنا الدخول معها بعلاقة جدلية تتمثل ما فيها من منطلقات جادة وهضم معطياتها ووعي أسبابها وإدراك سياقاتها الثقافية ومنطلقاتها المعرفية، مستندين في ذلك إلى عقل نقدي يستحضر مختلف معطيات الإنجاز الحضاري الإيجابية للأمة". (هويدي، المرجع السابق).

3. إشكالية تلقي المصطلح النقدي في النقد العربي المعاصر:

القضية الثانية التي وقف عندها النقد العربي المعاصر طويلا هي قضية المصطلح، والتي هي نتاج الوضعية النقدية العامة، ولأنه إذا كانت هناك مفارقات على مستوى الرؤية في تلقي المنهج فلا شك أن رقعة الاختلاف والنسبية في التعامل مع الظواهر الابداعية ستكون واسعة الاضطراب على مستوى المصطلحات المستعملة في توصيف تلك الظواهر.

وقبل الخوض في مسألة تلقي المصطلح النقدي من المستحسن التعرض للأهمية المعرفية للمصطلح التي تزداد يوما بعد يوم، بوصف المصطلحات الحامل الدلالي والتداولي المشترك بين لغات العلوم المختلفة ،إذ تعتبر الخلاصات المفهومية للعلوم، لهذا يفترض فيها أن تمثل صورا دقيقة للمفاهيم التي تعبر عنها؛ لأن الكلمة

الاصطلاحية الواحدة تنوب عن عشرات الكلمات اللغوية الشارحة التي من شأنها أن تعرف جزءا من المفهوم المعرفي المرجو تقديمه، فهي تختلف عن غيرها من الكلمات العادية، ومن ثم يجب أن تَلقى عناية وتعاملا خاصا (يوسف، 2009). تكشف هذه الرؤية الأهمية التي يكتسبها المصطلح في ضبط العلوم وتوحيد إدراكها، فهي تقيم للعلم من خلاله سوره الجامع وحصنه المانع، الذي يردعه إذا حاول ملامسة غيره، ويمنع غيره من التداخل معه. (جعنيد، 2011).

ونظرا للأهمية القصوى التي لهذا الموضوع، فقد استحدث علم له ضوابطه المنهجية عرف بـ "علم المصطلح" وهو علم يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها، ويتناول الأسس العلمية والمنطقية لوضعها وتوحيدها. وهو بصيغته المتكاملة علم حديث ظهر في الفكر الغربي، حيث شهدت ألمانيا نهايات القرن الثامن عشر، وضع الكلمة الدالة عليه على يد (كريستينيان غوتفريد شتز). إلا أن التطور المذهل الذي لحق بعلم المصطلح، كان في ثلاثينيات القرن الماضي، حيث يعد المهندس النمساوي (أو غينفو ستر)، مؤسس علم المصطلح المعاصر بحق.

أما في الوطن العربي، فقد اسندت مهمة تطوير علم المصطلح إلى مؤسسات عربية معروفة باسم مجامع اللغة العربية على غرار؛ مجمع دمشق الذي أسس سنة 1919، ومجمع القاهرة الذي أسس سنة 1932، وغيرها من المجامع (يوسف و.، المرجع السابق، 2009). حيث دعت هذه المؤسسات إلى العناية بوضع الضوابط والأسس التي يتم وفقها اجتراح المصطلحات، ويمكن أن نورد من بين هذه الضوابط مثلا (بارة ع.، المرجع السابق، 2005):

- تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد داخل الحقل الواحد.
- وتفضيل اللفظ المختص على اللفظ المشترك.
- تفضيل الصيغة الجزلة، وتجنب النافر من الألفاظ.

وغيرها كثير من الضوابط التي لو أنها لقيت الالتزام في الاستعمال من الباحثين، لأسهمت في تجنيب المصطلح النقدي العربي اللبس والخلط، وما أضفى على العملية طابع النسبية والتخبط في تحديد المفهوم إلا عدم الالتزام، فكثرت بهذا المصطلحات الدالة على المفهوم الواحد دون انتباه من الباحثين إلى أن كل مصطلح يجلب معه تعالقاته مع استعمالاته اللغوية العامة، يضاف إلى ذلك أن كثرتها تسبب تشويشا في مستوى البحث.

فبدل أن يقوم المصطلح بوظائفه المعروفة؛ **اللسانية** التواصلية، و**الاقتصادية** حيث يغني اللفظ الواحد عن الألفاظ الشارحة والمفسرة، **والوظيفة الحضارية الدالة على ثقافة معينة** يتحول فيها المصطلح إلى وسيلة لغوية

وثقافية للتقارب الفكري والحضاري بين الأمم (بارة ع.، المرجع نفسه، 2005)، أصبح وسيلة للتشويش في الثقافة العربية الواحدة، وأداة للاختلاف والصراع والتباهي غير المبرر بين الباحثين العرب.

وفي ظل أهمية المصطلح هذه في شتى العلوم، والاختلاف الصارخ في وضعه في الثقافة العربية، بَلوَر النقد العربي الحديث والمعاصر مصطلحاته التي تشكل مفاتيحه وعتباته، والتي يفترض من خلال ضبط دلالاتها يصبح بإمكان المتلقي فهم أسرار مناهج النقد، رغم أن التأكيد على أهمية المصطلح من صلب الثقافة العربية القديمة ؛ فالنقاد العرب القدامى كانوا على وعي بأن التحكم في المصطلح هو تحكم في المعرفة المراد فهمها وإيصالها، بل أنه يبني القدرة على ضبط انساق هذه المعرفة، لذلك فكلما ذكروا مصطلحا جديد الوضع، مشحونا بدلالة مختلفة كلما شرحوا معناه وحددوا دلالته تحديدا وافيا ومدعمة بالشواهد السياقية (جعنيد، المرجع السابق، 2011). فهذا قدامة بن جعفر مثلا كان على وعي كبير بأهمية المصطلح ودوره في تحديد المفاهيم، فكانت أبرز مؤلفاته مفعمة بالمصطلحات، منها ما هو مبتكر جديد، ومنها ما هو مستعمل متداول في التراث النقدي والبلاغي العربي، ومنها ما كان نتيجة الاحتكاك بالفلسفة والمنطق الأرسطي (جعنيد، المرجع نفسه، 2011)، ففي الناقد القديم مثال على الانفتاح على الثقافات؛ من يونانية، وهندية، وفارسية وما توصلت إليه في مجال النقد، من ناحية، ومثال على المنهج الواضح في التعامل مع المصطلح من ناحية أخرى مما يبقيه محافظا على أصالة تفكيره (بارة ع.، المرجع السابق، 2005). مما جعل المتتبعين للمصطلح النقدي في التراث العربي، يقرون أنه كان وليد البيئة العربية التي نشأ فيها، حيث لا يعرف إلا بها، وقد وصلت بهم الدقة في وضع المصطلحات إلى تأنيب من يخالف في الكتابة المتواضع عليه عند السابقين، لأن المخالفة للمتعارف عليه، تسبب الفوضى الاضطراب (بارة ع.، المرجع نفسه، 2005). وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على مدى الوعي والمسؤولية التي يلتزم بها الناقد القديم للمحافظة على ما حققه من خصوصية علمية، عكس ما يحدث في العصر الحديث من تشويش في المنهج وعدم وضوح الرؤية.

ورغم ما تحويه المكتبة العربية من دراسات وأبحاث في المصطلح النقدي، التي تتضمن المحاولات التي بذلها ويبذلها الباحثون في التعرف إلى تخصص النقد، إلا أنه لا يمكنها كميا تلبية رغبة المتلقي وإشباع فضوله العلمي والمعرفي، خاصة إذا ما نظر إلى التراكمات مصطلحية المضطربة (جعنيد، المرجع السابق، 2011). إلا أن الاهتمام بالمصطلح في النقد العربي المعاصر يزداد يوما بعد يوم، في شكل قوائم مصطلحية يذيل بها الدارسون أبحاثهم؛ بعضها أحادي اللسان، وبعضها مزدوج اللسان؛ وهذا يدل على الوعي الحاصل عند النقاد بقيمة المصطلح (بارة ع.، المرجع السابق، 2005). إلا أنه -كما سبقت الاشارة- تبقى "إشكالية" اجتراح المصطلحات النقدية وترجمتها وتعريبها تلاحق مختلف الدراسات النقدية العربية في العصر الحديث.

4. إشكالية تلقي المصطلح في النقد العربي المعاصر:

أغلب المصطلحات المتداولة في النقد العربي الحديث والمعاصر، والتي تستغرق الدراسات التطبيقية للأجناس الأدبية المختلفة من شعر ورواية وقصة ومسرح هي مصطلحات مصدرها الفكر النقدي الغربي، انتقلت إلى النقد العربي وهي محملة بحمولات مفاهيمية تابعة للثقافة المصدر لهذا كانت قضيتها بؤرة من أشد البؤر توترا دفعت بالباحثين والدارسين والنقاد إلى الخوض في تبعاتها على تلقي الخطاب النقدي العربي وممارساته التطبيقية (بارة ع.، المرجع نفسة، 2005). فمنذ أن ارتدى لبوس المناهج النقدية الغربية، ظهرت إشكالية المصطلح النقدي وأخذت تثير اهتمام المنشغلين بهذا الحقل، حيث برزت المخاوف من جلب المصطلح الغربي وتبنيه، رغم أن النقد العربي القديم كان قد عهد هذا النوع من الانفتاح على مختلف الحضارات المنتجة للمصطلح، دون أن تساوره مخاوف حينذاك، لأن الناقد العربي وقتها كان في مركز قوة (بارة ع.، المرجع نفسه، 2005). يعني أنه كان ينتج نقدا هويته ومعالمه الواضحة على هذا الأساس كان انفتاحه بقصد التطوير والإثراء، عكس الناقد العربي المعاصر الذي هو في موقع ضعف، يستهلك النقد ولا يعيد انتاجه قصد الإثراء فكان انفتاحه اللاواعي وسيلة العصف بهويته.

هذا الواقع النقدي العربي المتأزم الذي لا يزال خطابه يتخبط في استعمال المناهج الغربية بعشوائية، انتقلت عدواه إلى قضية المصطلح-كما أشرنا - لذلك لا جدوى من معالجة إشكالية المصطلح النقدي منفردة بذاتها ولذاتها، مفصولة عن الإشكالية الأم أي إشكالية المنهج نظرا لكون المنهج والمصطلح وجهان لعملة واحدة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، ولأنه من منظور المنهج النقدي تتولد المصطلحات النقدية فإن أي ممارسة نقدية تطبيقية خارج منظور المنهج سيؤدي إلى الخلط المنهجي والفوضى النقدية. (يوسف و.، 2005)

يضاف إلى ذلك أن هذه المصطلحات التي يستخدمها النقد العربي المعاصر نضجت في وسط معرفي مشحون بالخصوصية الثقافية التي تجد أصولها في الفكر الفلسفي الممتد في التاريخ الغربي، وأي عزل لهذه المصطلحات عن سياقها المعرفي وإسقاطها على نصوص إبداعية ذات خصوصية حضارية مختلفة، سيؤدي إلى سوء فهم لدلالاتها مما يوقع التصورات المنقول إليها في الارباك المنهجي. (بارة ع.، المرجع السابق، 2005)

لم يعد المصطلح في النقد العربي المعاصر وسيلة لتقريب المعنى إنما غاية في حد ذاته، بسبب التصور الهش للطابع المعرفي، وغدا هم الناقد هو استعراض أكبر عدد من المصلحات، وتحول إلى قضية ترجمة وتعريب ليس إلا، وأضحت في ظل ذلك الممارسات النقدية ضعيفة، لأنها لم تكن أصيلة في طبيعتها، كما تحول النص الإبداعي معها إلى حقل تجريبي بأدوات غير مناسبة أفقدته قيمه الجمالية التي هي غاية أساسية في وجوده (بارة ع.، المرجع

نفسه، 2005). فكيف يمكن الولوج إلى كشف أسرار نص أدبي لا تتطابق شفراته الفكرية والثقافية مع هذه الأدوات؟.

أسفرت إشكالية المصطلح النقدي عن إشكاليات على غرار إشكالية التلقي وإشكالية التداول. حيث أن تلقي الخطاب النقدي العربي المعاصر للمصطلح الغربي هو تلق فردي مشتت تعزوه روح عدم الانسجام والتناسق، يقوم على عدم اعتراف الجهود الفردية بعضها ببعض، وغياب التنسيق فتجد من يدعوا في دراسة نقدية إلى مصطلح ليأتي بغيره في دراسة تالية بالدلالة نفسها، يضاف إلى ذلك عدم الاعتراف بصنافات المصطلح الصادرة عن المؤسسات العلمية. (يوسف و.، المرجع السابق، 2009).

يعود هذا إلى غياب الوعي بأهمية تفعيل التواصل بين نقاد الوطن العربي خاصة في المنهج الواحد والجنس الأدبي الواحد، فرغم ما تلح عليه المجامع العربية من دعوة إلى توحيد الصفوف عبر مقترحاتها الضابطة، لتوظيف المصطلح والملتقيات المهتمة بقضايا المصطلح وإشكالاته، فإن التوصيات والدعوات تبقى مجرد شعارات لا يلتزم بها الناقد العربي.

في ظل هذه الظروف غدا المتلقي يشكو صعوبة المناهج وغموض المصطلح في دراسات النقاد المعاصرة خاصة التطبيقية منها، سواء المصطلح المترجم أو المعرب وحتى المبتكر، وهو وضع يترجم فشل النقاد في نقل المصطلح النقدي الغربي إلى العربية (بارة ع.، المرجع السابق، 2005). ويرجع ذلك دائما إلى المثاقفة النقدية والمعرفية اللاواعية التي أرغمت الثقافة النقدية العربية على الخضوع لثقافة مغايرة.

لم يتمثل الناقد العربي المناهج النقدية بعقل عارف مؤثث متوازن والسبب الكامن وراء ذلك؛ هو حبه القفز على السياقات المعرفية اختصارا للوقت، أو رغبة في الظهور لا غير فأخذ العلوم من نتائجها، بطريقة إملائية عادة دون أي اجتهاد دون فصل بين الوضع والاستثمار أنتج مبهمات كثيرة ليس من السهل الخروج منها في ظل هذا التكديس المصطلحي الشامل الذي جيء به جملة وتفصيلا. (بوطاجين).

ومن بين الأسباب التي أطالت في عمر العجز النقدي إشكالية الأصالة والمعاصرة التي تكمن في محاولة بعض النقاد إضفاء دلالات حديثة على المصطلح القديم، ظانين أن دلالة المصطلح الذي يمكن أن يكون لها ما يقابلها في الثقافة العربية القديمة، متناسين ضرورة مراعاة سياق التشكل في حين هناك من النقاد من قام بنقل المصطلحات الأجنبية إلى العربية متناسيا أن هذه المصطلحات لا يمكنها التنفس بطريقة طبيعية إلا في بيئتها (بارة ع.، المرجع السابق، 2005). فغياب الوعي في نقل المصطلح، انعكس على كيفية تداول هذا المصطلح التي غدت ساحة للخلط والاضطراب والغموض، بل الأكثر من ذلك انبثاق إشكاليات، على غرار التعريب والترجمة.

فلا يجد هذا المتلقي والدارس إلا جهودا فردية لا يتعدى دور الناقد أو المترجم فيها دور القارئ الذي يحاول أن يستوعب وينقل قراءته الخاصة، التي تختلف عن غيره من النقاد أو المترجمين. (بارة ع.، المرجع نفسه، 2005)

ونظرا لاختلاف اللغة العربية عن اللغات الأجنبية في مستوى البنية نحويا وصرفيا وصوتيا ودلاليا فقد برزت في نقل المصطلح إشكالية عدم المطابقة النحوية أو ما يسمى في الاصطلاح اللساني بـ" اللانحوية " التي تحدث حين يخرق الفعل الاصطلاحي المعيار اللغوي، ويتجاوز القواعد الصرفية والتركيبية مبتغيا في ذلك حاجة وظيفية يقتضيها المفهوم المصطلحي ومن المواطن الكثيرة التي خرق فيها الناقد العربي المعاصر الثوابت المعيارية للغة العربية نذكر: الاشتقاق من الجامد، كإشتقاق الأَزمنة Temporalisation من الزمن، والأَسطَرة maystification من الأسطورة والتقاين والأقينة ionisation من الأيقونة، والنمذجة Modélisation من النموذج وغيرها كثير (يوسف و.، المرجع السابق، 2009).

اللاوعي والانبهار وحب الظهور جعل عمل الناقد العربي عملا متسرعا لا يحترم عبقرية اللغة العربية في قواعدها وقوانينها، فهو مثلا يحدث إشكالية بهتك الصيغة الصرفية حتى يصل إلى دلالة المصطلح الأجنبي على غرار أحد النقاد الذين استغلوا دلالة " الهمزة الزائدة" على" السلب" في بعض الصيغ العربية، من ثم عمد إلى محاكاة دلالة صيغة "أفعل" عبر الأصل المعجمي رمز لتوليد مصدر الإفعال "إرماز" حتى يقابل به المصطلح الفرنسي Décodage، ولأن زيادة الهمزة عبر صيغة أفعل لها في العربية ما يقل عن عشرة معان يتيه المتلقي في إدراك المعنى المراد بالضبط ؛ أهو التعدية أم الصيرورة أم السلب أم غيرها (يوسف و.، المرجع نفسه، 2009). وعلى هذا الأساس بدل أن تنير الدراسات النقدية طريق المتلقي بتذليل صعوبات فهم النص الابداعي من خلال تقديم مصطلحات مشتقة من كلمات بنيتها عربية يلجأ بعضها إلى هتك قوانين اللغة فبدل أن وسيلة إنارة وإيضاح أصبحت حجر عثرة من خلال فوضى بناء المصطلحات.

يضاف إلى إشكالية خصوصية اللغة البنيوية وعلاقتها بالتعبير عن المعاني هناك قضية السوابق واللواحق التي تعول عليها كثيرا اللغات الأوروبية لأنها لغات إلصاقية بخلاف العربية التي هي لغة اشتقاقية تقوم بالتحويلات داخل الكلمات لمختلف العمليات الصرفية. من ثمة كانت السوابق واللواحق عائقا أمام ترجمة المصطلح الأجنبي من أمثلة ذلك، ترجمة مصطلح Métalangage حيث كانت السابقة Méta سببا في اختلاف ترجمات هذا المصطلح، بين: اللغة الواصفة ما وراء اللغة، ما بعد اللغة، ما فوق اللغة، الميتالغة، اللغة الانعكاسية (يوسف و.، المرجع نفسه، 2009). وهذا مثال من أمثلة كثيرة تعددت تصورات النقاد حوله، يظهر فيه الكم الهائل من المقابلات العربية التي نجدها في الدراسات المختلفة، للاحقة واحدة ولم يتمكن هؤلاء النقاد من توحيد نظرتهم حول ترجمة مثل هذه الظواهر بإيجاد مقابل واحد في اللغة العربية، يتوافق مع بنيتها ويقلل من فوضى المصطلحات ويحقق

الوظيفة الاقتصادية المنوطة بالمصطلح ،وهذا ما يثبت دائما النزعة الفردية التي ينطلق منها الناقد في تعامله مع المصطلح الأجنبي، بحيث يحمل اللغة العربية والمتلقي مالا يحتمل ويدخل النقد العربي المعاصر في حالة أقل ما توصف به الفوضى والاضطراب والخلط.

وتتجلى أبرز ملامح هذه الفوضى والاضطراب والخلط في أسماء العلوم على غرار ما لحق بمصطلح sémiologie حيث نجد من يقابله بمصطلح السيميولوجيا أو السيميوطيقا، السيميوتيك، والدلاليات وعلم الدلالة، والدلائلية، وعلم العلامات، وعلم الإشارة، هذا الحشد من المصطلحات سبب للأسف الشديد أزمة لحقت بالنقد العربي، عبرت عن تشتت آراء النقاد والمترجمين يمكن اعتباره تعددا في إطار ثقافة الاختلاف (بارة ع.، المرجع السابق، 2005). ولكنه فوضى في مجال الدراسات العلمية.

وحتى وإن اعتبر التعدد مشروعا ذلك لا يعني اللجوء إلى الكلمات العادية في ترجمة المصطلح، لأنها لا ترقى إلى المصطلح النقدي، فاللغة النقدية التي ترمي إلى تأسيسها لا يمكنها أن تتجسد من خلال هذه الكلمات العادية ولا بالمصطلحات المتعددة للمفهوم الواحد، إنما عبر التفاعل مع النص ومحاورته، تكون فيه اللغة النقدية الدقيقة ثمرة هذه العملية (بارة ع.، المرجع نفسه، 2005).

هذه مظاهر الفساد التي آل إليها النقد العربي المعاصر، ذاتية المفاهيم الاصطلاحية حيث شاعت الفوضى والغلو والذاتية في ترجمة المصطلح، فأضحى كل ناقد يحاكم غيره مبطلا ما يقوم به غيره مرة لأنه فرونكوفوني الثقافة، والآخر أنجلوفوني ومرة أخرى لأنه ينزع إلى استعمال المصطلح كما ورد في المناهج الحداثية الغربية، في حين يبحث غيره عن مقابلات للمصطلحات الوافدة في مستودع التراث الكبير (بارة ع.، المرجع نفسه، 2005). ونلاحظ أن الناقد العربي تحولت في يده كل وسيلة للانفتاح والتحديث والتطوير على غرار التعريب، والترجمة أو مبادئ تحويلها اللغة العربية إلى نقمة عادت على النقد العربي بالأزمات والإشكالات. إذا كان فعل الترجمة قد جعل الحضارة العربية تصل إلى أوجها في العصر العباسي، تمكنت خلاله احتواء جميع الثقافات الوافدة؛ هذا العامل الذي كان عنصرا فعالا في تلاقح الحضارة العربية بغيرها من الثقافات وقتئذ، غدا اليوم حبيس عقدة التفوق الوافد الغربي، وما تم جلبه لا يعدو أن يكون امتدادا أو تكرارا لهوامش النظريات النقدية الغربية، وانعكاسا سريعا لتلك المعرفة، فهل من المنطق –في ظل هذا الوضع – للناقد العربي المعاصر أن يتحدث عن نظرية نقدية عربية لها أدواتها المنهجية ؟. (بارة ع.، المرجع نفسه، 2005).

نتيجة لما آل إليه النقد العربي المعاصر من فوضى، أحس بعض النقاد أننا في حاجة أكثر من أي وقت مضى إلى إعادة النظر في كل الممارسات النقدية، قصد التعامل مع المصطلح تعاملا سليما قصد تجاوز الفجوة التي أحدثها تبديد الجهود هنا وهناك (بوطاجين، المرجع السابق). ولا يكون ذلك إلا بالتصور السليم للسياق المعرفي

للثقافة النقدية العربية القديمة، لأنها السياق الأصيل الذي نشط فيه النقد العربي نقلا وترجمة وإبداعا لمدة طويلة من الزمن كتب له فيها التفوق، وكذلك بالتصور السليم للسياق الذي ينشط فيه النقد الغربي بمناهجه وأدواته المختلفة، ولا يكون ذلك إلا في إطار عمل جماعي مؤسساتي يضمن وحدة الأدوات المستخدمة في محايثة النصوص، حتى نتجنب الفوضى المصطلحية، التي امتدت إلى المساس بالبنية اللغوية للعربية في صرفها ونحوها، والتي اربكت الدارسين وجعلتهم يكررون أفكارا ومصطلحات لم يفهموها فهما نقديا سليما، لهذا بقي تأصيل مناهج نقدية عربية لها ترسانتها الاصطلاحية الحلم الذي لم يتمكن النقاد من تحقيقه لعقود طويلة.

4. خاتمة:

النتائج:

- ان إشكالية تأصيل المنهج وتلقي المصطلح من الإشكالات المعرفية الشائكة في النقد العربي المعاصر.
- شكل التعدد المنهجي والمصطلحي رؤية ضبابية أمام الناقد العربي الذي لم يتجاوز بعد مرحلة الاستيعاب، فضلا عن تمثل وتأصيل المناهج الغربية وترجمة المصطلح.
- غلب على النقد العربي الاقتباس من المناهج الغربية بكل ما فيها، ولم يأخذ في الحسبان مرجعياتها وخلفيتها المعرفية وخصوصية المحيط العربي.

التوصيات:

- من خلال نظرة عامة على المشهد النقدي العربي المعاصر، يتضح جليا أن الخطاب النقدي العربي يعيش إخفاقات وتعثرات على مستوى المنهج والمصطلح، ليصبح لزاما ووجوبا التأصيل لهذا المنهج وتبيئته من أجل التحرر من الأزمة المنهجية.
- الانعتاق من المأزق التنظيري الذي يتخبط فيه المصطلح والمنهج، ليبقى هذا النقد ممارسة مسؤولة تتطلب الحرص على انتقاء المناهج والنظريات، كما تتطلب الموضوعية والدقة في استعمال المفاهيم والمصطلحات التي ينبغي وضعها في سياقها الثقافي.
- لا يقتصر استيعاب المناهج على الأدوات الإجرائية فقط بل يتجاوز ذلك إلى استيعاب الخلفية النظرية والمعرفية المؤطرة لهذا المنهج ومراعاة خصوصية النص الأدبي من جهة، وخصوصية المنهج النقدي من جهة أخرى، وضرورة الاقتناع بصلاحية المنهج وملاءمته للنص أو عدمها، والوعي بالسياق الإبستمولوجي والفلسفي والتاريخي الذي نشأ فيه كل منهما،

- إدراك أصول المنهج وتوابثه، وتطبيقه تطبيقا يبتعد عن الآلية حتى لا يسقط في التشويه، ويبتعد عن التجزيئية التي تقوده نحو التصور غير السليم، ليغدو هذا كله، شرطا أساسا في كل ممارسة نقدية جادة، لذلك، فحضور هذا الوعي أو غيابه هو الذي ترتهن به قيمة الممارسة النقدية وفعاليتها، أو يرتبط به إخفاقها وفشلها.

5.الهوامش:

1- ابراهيم صدقة. (2006). المرجع السابق. 169.

2- ابراهيم صدقة. (2006). المشكلة التفاعل بين الأداء والموضوع. (جامعة البويرة، المحرر) *مجلة المعارف، 01*، 166.

3- السعيد بوطاجين. (بلا تاريخ). *المرجع السابق.*

4- السعيد بوطاجين. (بلا تاريخ). *مستويات استقبال المصطلح" النقد العربي المعاصر" المرجع والتلقي (الخطاب النقدي العربي المعاصر قضاياه واتجاهاته.*

5- بارة, ع .(2005) .*المرجع نفسه* .

6- بوطيب, ع .(s.d.) .المرجع السابق.456 .

7- سالم سعدون. (بلا تاريخ). المرجع السابق. é3.

8- سالم سعدون. (بلا تاريخ). قراءة النص بين الرؤية المنهجية والأدوات الإجرائية. *محلة المعارف*، 36.37.

9- صالح سعدون. (بلا تاريخ). المرجع نفسه. 32.

10- صالح طرشونة. (بلا تاريخ). المرجع السابق. صفحة 210.

11- صالح هويدي. (بلا تاريخ). المرجع السابق. صفحة 34.

12- صالح هويدي. (بلا تاريخ). المرجع السابق. الصفحات 36,37.

13- صالح هويدي. (بلا تاريخ). المرجع السابق.

14- صالح هويدي. (بلا تاريخ). المرجع السابق.

15- صالح هويدي. (بلا تاريخ). المرجع نفسه. صفحة 35.

16- صالح هويدي. (بلا تاريخ). النقد الأدبي الحديث (قضاياه ومناهجه). جامعة السابع من أفريل ، ليبيا.

17- عبد الرزاق بارة. (2005). *المرجع نفسه.*

18- عبد الرزاق بارة. (2005). *المرجع نفسه.*

19- عبد الرزاق جعنيد. (2011). *المرجع السابق.*

20- عبد الرزاق جعنيد. (2011). *المرجع السابق.*

21- عبد الرزاق جعنيد. (2011). *المرجع نفسه.*

22- عبد الرزاق جعنيد. (2011). *المصطلح النقدي قضايا واشكاليات* (الإصدار 1). الأردن: عالم الكتب الحديث.

23- عبد العالي بوطيب. (1994). اشكالية المنهج في الخطاب النقدي العربي الحديث. *مجلة عالم الفكر، 22*(1,2)، 455.

24- عبد العالي بوطيب. (بلا تاريخ). المرجع السابق. 455,456.
25- عبد العالي بوطيب. (بلا تاريخ). المرجع السابق. 457,458.
26- عبد الغني بارة . (2005). *المرجع نفسه*.
27- عبد الغني بارة . (2005). *المرجع نفسه*.
28- عبد الغني بارة. (2005). *اشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر (مقاربة حوارية في الأصول المعرفية)*. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
29- عبد الغني بارة. (2005). *المرجع السابق*.
30- عبد الغني بارة. (2005). *المرجع السابق*.
31- عبد الغني بارة. (2005). *المرجع السابق*.
32- عبد الغني بارة. (2005). *المرجع السابق*.
33- عبد الغني بارة. (2005). *المرجع السابق*.
34- عبد الغني بارة. (2005). *المرجع السابق*.
35- عبد الغني بارة. (2005). *المرجع السابق*.
36- عبد الغني بارة. (2005). *المرجع السابق*.
37- عبد الغني بارة. (2005). *المرجع السابق*.
38- عبد الغني بارة. (2005). *المرجع السابق*.
39- عبد الغني بارة. (2005). *المرجع السابق*.
40- عبد الغني بارة. (2005). *المرجع نفسة*.
41- عبد الغني بارة. (2005). *المرجع نفسه*.
42- عبد الغني بارة. (2005). *المرجع نفسه*.
43- عبد الغني بارة. (2005). *المرجع نفسه*.
44- عبد الغني بارة. (2005). *المرجع نفسه*.
45- عمار بن زايد. (بلا تاريخ). النص والمنهج. *مجلة معارف*، 24.
46- محجوب بالمحجوب. (بلا تاريخ). النص والمنهج في الدراسات الأدبية (النظرية والتطبيق). *مجلة المعارف*، 50.
47- محجوب بلمحجوب. (بلا تاريخ). المرجع السابق. 50.
48محمد سويرتي. (2015). *المنج النقدي (مفهومه وأبعاده وقضاياه)*. المغرب: إفريقيا الشرق.
49- محمد سويرتي. (2015). *المنهج النقدي (مفهومه وأبعاده وقضاياه)*. (إفريقيا الشرق، المحرر) المغرب، المغرب.
50- محمد سويرتي. (2015). *المنهج النقدي (مفهومه وأبعاده وقضاياه)*. إفريقيا الشرق.
51- محمد سويرتي. (بلا تاريخ). *المرجع السابق*.
52- محمود طرشونة. (2008). اشكالية المنهج في النقد الأدبي. صفحة 11.

53- محمود طرشونة. (2008). اشكالية المنهج في النقد الأدبي. صفحة 11.

54- محمود طرشونة. (2008). المرجع السابق. صفحة 3.

55- محمود طرشونة. (بلا تاريخ). المرجع السابق. صفحة 17.

56- وغسلي يوسف. (2005). *المرجع السابق.*

57- وغليسي يوسف. (2009). *اشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد* (الإصدار 1). منشورات الاختلاف.

58- وغليسي يوسف. (2009). *المرجع السابق.*

59- وغليسي يوسف. (2009). *المرجع السابق.*

60- وغليسي يوسف. (2009). *المرجع السابق.*

61- وغليسي يوسف. (2009). *المرجع نفسه.*

62- وغليسي يوسف. (2009). *المرجع نفسه.*

6.المراجع:

1. إبراهيم صدقة، "المشكلة التفاعل بين الأداة والموضوع"، مجلة معارف، علمية فكرية محكمة تصدر عن المركز الجامعي البويرة، الجزائر، العدد 1، ماي، 2006.
2. بلمحجوب محجوب، "النص والمنهج في الدراسات الأدبية (النظرية والتطبيق)"، مجلة معارف.
3. سالم سعدون، "قراءة النص بين الرؤية المنهجية والأدوات الإجرائية"، مجلة معارف.
4. السعيد بوطاجين." مستويات استقبال المصطلح". النقد العربي المعاصر- المرجع والتلقي- (الخطاب النقدي العربي المعاصر قضاياه واتجاهاته).
5. صالح هويدي، النقد الأدبي الحديث (قضاياه ومناهجه)، ليبيا: منشورات جامعة السابع من أبريل، نسخة الكترونية: www.kotobarabia.com.
6. عبد الرزاق جعنيد. المصطلح النقدي قضايا وإشكاليات. ط1؛ الأردن: عالم الكتب الحديث، 2011.
7. عبد العالي بوطيب، "إشكالية المنهج في الخطاب النقدي العربي الحديث"، مجلة عالم الفكر، ثقافية فكرية محكمة تصدر من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 1 و2، المجلد 22، يوليو/سبتمبر- أكتوبر/ديسمبر، 1994م.
8. عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر (مقاربة حوارية في الأصول المعرفية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005م.
9. عمار بن زايد، "النص والمنهج"، مجلة معارف.
10. محمد سويرتي، المنهج النقدي (مفهومه وأبعاده وقضاياه)، المغرب: أفريقيا الشرق، 2015.
11. محمود طرشونة، إشكالية المنهج المنهج في النقد الأدبي، تونس: مركز النشر الجامعي، 2008م.

12. وسف وغليسي. إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد. ط1؛ منشورات الاختلاف، 2009
13. يوسف وغليسي. إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد.